

أهمية النقاش السياسي و الاختلاف الإيديولوجي في بلورة فكرة الثورة الجزائرية إعداد الأستاذ: تيزي ميلود .جامعة الجيلالي اليابس

من المعلوم أن تاريخ الجزائر المعاصر حافل بالنقاش السياسي و الفكري الذي سبق اندلاع الثورة التحريرية و بالتالي فان هذه الثورة ترتبط ارتباطا وثيقا بهذا الجدل الذي سبقها.

إن المتتبع لتاريخ الثورة الجزائرية 1954 يجب عليه أن يتوقف عبر العديد من المحطات التي تدفعه لطرح مجموعة من التساؤلات و الاستفهامات و لعل أبرزها أزمة الحركة الوطنية بعد مجازر 8 مايو 1945 أو كيف تعامل أعضاء اللجنة الخاصة معها .أو ما هي الإجراءات التي اتخذت بعد انكشاف أمر «OS» ثم لابد من طرح التساؤل آخر هو لماذا استمرت تداعيات هذه المسألة على حزب الشعب بعد 1948 . و ما هي خلفيات أزمة الانتصار للحريات الديمقراطية عام 1954 و هل الثورة الجزائرية كانت وليدة هذه الأزمة كما يقال.

إن هذه التساؤلات تحمل في طياتها نقاشا سياسيا كان مطروحا فعلا قبل اندلاع الثورة و أن البحث فيها و محاولة الإجابة عليها يوصلنا لحقائق أخرى قد أثرت على الفعل الثوري آنذاك و تعتبر جوابا صحيحا لما قد تعرفه الثورة التحريرية بعد اندلاعها أو حتى بعد الاستقلال.

لقد كان حزب الشعب الجزائري يمثل الأغلبية الساحقة للشعب الجزائري باعتباره كان يحمل أفكار استقلالية و تحررية و حين انفجرت الأزمة بين زعيمه مصالي الحاج و ما يعرف بالمركزيين 1 في الوقت الذي كان الاستعمار الفرنسي قد اعتقل معظم أعضاء المنظمة السرية (OS) في حين أطلق سراح بعضهم الذين شرعوا في تشكيل تيار جديد يحمل مبادئ الحزب نفسها بل و كانوا مقتنعين بأن الثورة خيار لا بد منه من أجل تحرير الشعب من الاحتلال الفرنسي.

و بالموازاة مع هذا التحرك استغلت بعض الأجنحة الأخرى من حزب الشعب هذه الظروف للاستحواذ على قيادة الحزب مشكلين النواة الأولى للثورة 2 ، لأنهم كانوا مقتنعين بأن الانشغال الأساسي للشعب هو تبني الخيار الثوري الذي سوف يكسبهم الشرعية الشعبية.

و عليه فالأزمة كانت عميقة بين مصالي الحاج و أعضاء اللجنة المركزية مما أدى إلى ظهور طرف ثالث في هذه المعادلة 3

ترتكز منذ 1950 على مطلب واحد وهو رفض اللجنة المركزية صيغة الرئاسة مدى الحياة أو الزعامية التي كان يتمتع بهام صالي.

إن حقيقة الخلاف كانت أكثر من رغبة مصالي الحاج في ترأس حزب بل و تعمقت اثر موجة الاستقالات التي عرفها الحزب بداية من استقالة الأمين العام للحزب حسين لحول سنة 1951 و بعد شهرين تلتها استقالة مصطفى شوقي و شنتوف و عمراني بسبب سوء تفاهم حول تصريح مشترك حول الاتحاد مع الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA و تستمر هذه الخلافات إلى أن انتهت بالأزمة المعروفة
أفريل 1953 4

فعلا كان الوضع السياسي في الجزائر قبل اندلاع الثورة الجزائرية متأزما للغاية، ولم يتوقع أي كان من اندلاع الثورة حيث صوره كريم بلقاسم أحد مفجريها بمناسبة الذكرى الخامسة لاندلاع الثورة التحريرية قائلا: "إن الأحزاب السياسية قبل نوفمبر 1954 بدلا من أن تفتح آفاقا جديدة أمام الشعب الجزائري و تقوده إلى الكفاح بقيت بالعكس من ذلك واقعة تحت كابوس 8 ماي 1945 مشلولة عن كل 5 عمل مكتفية بالجمود، و هنا أصبح تجاوزها و الاستغناء عنها لا مفر منه..." و هذا ما يفسر أن النزاع الداخلي لحزب الشعب PPA بين المركزيين و المصاليين قد حرر المناضلين المتمسكين بمبادئه خاصة أعضاء المنظمة الخاصة فتجلى ذلك في مبادراتهم المتمثلة في تشكيل اللجنة الثورية للوحدة و العمل CRUA لاحقا.

لا يمكن حصر هذا النقاش السياسي داخل الاتجاه الاستقلالي فحسب بل شمل مع مطلع الخمسينيات حتى التيارات الأخرى خاصة الاتحاد الوطني الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA و جمعية العلماء اثر اقتراح تشكيل جبهة مناهضة للاستعمار في مؤتمر وطني يجمع التيارات الثلاث ثم تشكيل حزب واحد للتحرير الوطني لكن هذه الفكرة فشلت للظروف التي كان يعيشها حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية MTLD رغم أن الفكرة قد قطعت شوطا كبيرا 6 حسب ما ورد في جريدة "الجزائر الحرة" ليوم 8 جانفي 1954.

أما الحزب الشيوعي الجزائري PCA الذي تجاوب مع مبدأ الاتحاد فقد تحفظ على النقاط التي أدرجت في جدول الأعمال مبديا رآيه في أن تعقد مؤتمرات مختلفة بدل مؤتمر وطني تدرس فيها قضايا لم توافق عليها الأحزاب الثلاث مثل قضايا الشغل و الحركة النسوية الخ... و التي كانت تعتبر قضايا هامشية بعيدة عن الهدف الحقيقي لها و هو التحرر خاصة و أن هذا يقترن بمطالب الاتجاه الاستقلالي منذ أن أدرجها سنة 1952. و في لقاء بالقاهرة مع أحزاب من تونس و المغرب في إطار الوحدة الوطنية المغاربية تحت إشراف الجامعة العربية. بينما الحزب الشيوعي كان يتصور الجمهورية الجزائرية في إطار الاتحاد الفرنسي و يرفض رفضا قاطعا الهوية الجزائرية المتمثلة في العروبة و الإسلام و اللغة.

لقد تميزت هذه المرحلة بتسارع الأحداث و طينيا و إقليميا و في نفس الوقت تبلورت فكرة العمل الثوري الذي عارض طرفي النزاع داخل حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وهذا ما سوف يتضح في نص بيان أول نوفمبر 1954 في ما بعد خاصة الفقرة التي جاء فيها ما يلي: "...و نريد بهذا الصدد أن نبين أننا مستقلون عن الهيئتين الممتازتين على السلطة ... إننا نضع المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار شخصي أو نفوذي من الاعتبارات التعزيزية الزائفة ... فنوجه نشاطنا ضد الاستعمار الذي هو عدونا الوحيد... هذه هي على ما نعتقد، الأسباب الكافية التي جعلت حركتنا التجديدية تتقدم للشعب تحت عنوان: جبهة التحرير الوطني" 7

لقد أسهمت الأزمة الداخلية للحركة الوطنية و الصراع الذي كان قائما بين المركزيين و المصاليين في ترجيح كفة التحدي و المغامرة بميلاد لجنة الستة 8 التي تحملت المسؤولية التاريخية في اعلان الكفاح المسلح و تنظيمه و الإشراف عليه، هذا الكفاح الذي تحول شعبيا إلى ثورة كبرى هي ثورة أول نوفمبر 1954 و تحديد المسؤوليات و تعيين قيادة لكل منها على النحو التالي:

- المنطقة الأولى بقيادة مصطفى بن بو العيد (الأوراس)

- المنطقة الثانية بقيادة ديدوش مراد (شمال قسنطينة)

- المنطقة الثالثة بقيادة كريم بلقاسم (القبائل)

- المنطقة الرابعة بقيادة رايح بيطاط (الجزائر)

- المنطقة الخامسة بقيادة العربي بن مهدي (وهران).

و عليه فإن ثورة نوفمبر 1954 لم تكن مجرد حركة مسلحة فقط بل كانت فلسفة ذات جذور في أعماق النفسية الجزائرية التي كانت تتميز بالتمزق الداخلي و الاجتماعي و هي النظرية التي أجابت عن كل التساؤلات التي طرحناها سابقا بأن الأزمة أنتجت الثورة التي لم يتزعمها زعيم بل قادها شعب و ، فكونت الفرد الجزائري سواء كان رجلا أو امرأة حيث علمته كيف تكون ثورته على الاستعمار ثورة تحمل مبادئ و أهداف وليس تمردا عصبيا يخضع لعواطف فردية و شخصية.

إن الخلافات و الصراعات التي أدت إلى الأزمات المتتالية منذ ما قبل الثورة لم تنته باندلاعها بل استمرت بين جبهة التحرير الوطني و أنصار مصالي الحاج و أفقدت الجزائر الكثير من أبنائها و أن النزاع على السلطة كثيرا ما أدى بالأمة إلى انتكاسة تهددها في انتماءها العرقي و تؤدي بالدولة إلى القبلية و أن الشرعية الثورية التي لا تكون في اتجاه إشراك الشعب في القرار مآلها الفشل و الزوال حتما

الهوامش:

- 1-محفوظ بن قداش و ترجمة عبد القادر بن حراث: المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري... ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ص 111.
- 2-ذكر عبد الرحمن كيوان أن المركزيين هم قادة حزب الشعب كان عدم توريط الحزب فيما قامت به الجماعة من الاستيلاء على بريد وهران في إشارة لأحمد بن بلة.
- 3-Med harbi, Gilbert Meyrin: le FLN document et histoire 1954-1962 ed casbah 2004 p232 33-
- 4 محمد الصالح الصديق، أيام خالدة في حياة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر 2007ص52
- 5-جريدة المجاهد، جبهة التحرير الوطني عدد خاص بالذكرى الخامسة لاندلاع الثورة 1958.
- 6-جريدة الخبر اليومي، 6 أبريل 2006، العدد 4671.
- 7-بيان أول نوفمبر 1954 صدر عن قيادة الثورة الجزائرية ليلة أول نوفمبر تحت عنوان: تصريح إعلان الثورة، الفقرة الرابعة.
- 8-و هم ابن بو العيد، ديدوش مراد، العربي بن مهدي، رايح بيطاط، محمد بوضياف، كريم بلقاسم، مع تكليف أحمد بن بلة، حسين أيت أحمد ، محمد خيضر للتمثيل في الخارج.
- 9-بسام العسلي : المجاهدون الجزائريون، الطبعة الأولى دار النقاش، بيروت، 1984، ص141.

المراجع:

- 1-محفوظ قداش: المقاومة السياسية 1900-1954، ترجمة عبد القادر بن حراث ، الطريق الإصلاحي و الطريق الثوري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
- 2-محمد الصالح الصديق، أيام خالدة في حياة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية ، الجزائر.
- 3-بسام العسلي: المجاهدون الجزائريون، ط1 ص 141، دار النقاش، بيروت ، لبنان.
- 4- Med harbi, Gylbert Meynier : le FLN document et histoire 1954-1962, casbah ed : 2004 p32.

المجلات و الدوريات:

- 1-جريدة الخبر ليوم: 6 أبريل 2006/7 ربيع الأول 1427 العدد 4671.
- 2-الخبر الأسبوعي: العدد 460 من 22 الى 28 ديسمبر 2007.
- 3-جريدة المجاهد: عدد خاص بالذكرى 50 لاندلاع الثورة التحريرية 2004 (جبهة التحرير الوطني)
- 4-بيان اول نوفمبر 1954، ملحق خاص تحت عنوان : تصريح نوفمبر إعلان الثورة.